

تداولية الخطاب الصحفي السياسي - فيصل القاسم أنموذجا-

الأستاذة : أسماء حمبلي

قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب و اللغات

جامعة أم البواقي - (الجزائر)

Résumé:

Cette étude vise à réfuter ce qui avait été rapporté sur la pragmatique la qualifiant comme poubelle aux linguistiques où on se débarrasse des éléments impossible à déceler via les méthodes classiques, elle tente d'éclaircir ses fondements, et concrétiser les résultats de cette hypothèse en l'appliquant sur le discours journalistique politique comme illustration. A la lumière de cette étude il s'est avéré que ce genre de discours est le plus adapté à la méthodologie pragmatique, ainsi la nouvelle conception de la langue a bel et bien changé le point de vue vis-à-vis la communication inter humaine; en l'occurrence le discours devient objectif après avoir été outil et actuellement il est considéré comme la pierre angulaire de l'analyse du discours communément connu sous le terme (énonciation)

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى نفض الغبار عما قيل عن التداولية بأنها سلة قمامة اللسانيات التي ترمى بها العناصر التي لا يمكن توضيحها بالأدوات التقليدية، محاولة تسليط الضوء على أهم مبادئها ومجسدة نتائج النظرية على الخطاب الصحفي السياسي كنموذج لفهمها، وقد تبين من البحث أن هذا النوع من الخطابات يعد الأكثر تماشياً مع طبيعة المنهج التداولي، وهذا فقد غير التصور الجديد للغة النظرة تجاه التواصل البشري، فقد أصبح الكلام غاية بعدما كان وسيلة، وهو يشكل الآن أساس تحليل الخطاب فيما يعرف بالملفوظية.

تمهيد :

لم تعد اللسانيات ذلك العلم الذي ينعزل في مختبراته بعيدا عن تدفق الحياة اللغوية، فبعد أن علمت الظاهرة اللغوية تولدت الحاجة إلى تطوير آفاق البحث فسمت الدراسات بتعدد المقاربات اللسانية وصارت الحاجة ملحة لأن لا تدرس اللغة بمعزل عن وظائفها الأخرى، ولعل آخر ما ظهر إلى الساحة اللغوية كقاعدة للسانيات هي " التداولية"، لأنه وكما قال جيفري ليج :

>> لا نستطيع حقيقة فهم طبيعة اللغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية، كيف تستعمل اللغة في الاتصال<<(1).

وكثيرا ما كانت التداولية تنعت بصندوق قمامات اللسانيات ،لأنها تدرس كل ما تعتبره اللسانيات فضلا،فهي التداولية-تهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام آخذة بعين الاعتبار المتكلم والسياق،>>وقد عمد الباحثون إلى المنهج التداولي ليمدهم برؤى متعددة،نتيجة لقصور الدراسات الشكلية و إهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي ،أي في الاستعمال التواصلي بين الناس<<(2). ولأن جذور التداولية فلسفية، فكيف تقدم للقارئ في قالب بعيد عن التعقيد الفلسفي والطرح المبتذل المكتنظ بالأقوال و الاصطلاحات الغامضة؟وكيف يتناول الموضوع علميا بعيدا عن التصور الخاطيء حول التداولية بأنها السلة التي ترمى بها العناصر التي لا يمكن توضيحها بالأدوات اللسانية التقليدية ؟وكيف يمكننا تطبيق آليات التداولية الإجرائية على الخطاب السياسي كنوع من أهم أنواع الخطابات الأكثر تماشيا مع طبيعة المنهج التداولي؟

لقد كان المنهج التداولي بمثابة ردة فعل على معالجات تشومسكي للغة بوصفها أداة تجريدية أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال عن استعمالها ومستعملها.ومن أسباب ظهور المنهج التداولي القناعة التي مفادها أن المعرفة المتقدمة بالنحو والصوت والدلالة لم تستطع التعامل مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة ، ويمكن اعتبار الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النظريات اللسانية من جهة و دراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى سببا آخر للاهتمام بالتداولية(3).

مفهوم التداولية وإشكالية المصطلح :

1- لغة :

وردت مادة "دول" في لسان العرب " وهي آتية من دول يتداول تداولوا، ويقال تداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا دواليك: أي مداولة على الأمر... وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاونناه فعمل هذا مرة وهذا مرة (4) .

ومما وضح من هذه اللفظة أنها تعني التداول والأخذ مرة بمرة، وتكاد هذه الإحالات اللغوية وغيرها من المعاجم الأخرى (5) جميعها تؤسس لوجود طرفي التداول الباث (Emetteur) و المتلقي (Récepteur) كتداول المال مثلا.

2- اصطلاحا :

أول من وضع لها تعريفا هو "شارلز موريس" (Charles Mouris) يقول فيه: >> إنها دراسة علاقة العلامات بمستعملها، وهي حسبته تمثل إحدى نواح ثلاثة يمكن معالجة اللغة من خلالها :

- 1- التركيب (La syntaxe) ويعنى بالعلاقات بين العلامات فيما بينها .
- 2- الدلالة (La sémantique) : وهي تهتم بدراسة العلامات في علاقتها بالواقع .
- 3- التداولية : وهي تدرس علاقة العلامات بمستعملها وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية (6) ، فهذا تعريف واسع يتعدى مجال اللساني إلى السيميائي.

3- إشكالية المصطلح التداولي :

إن الخطوة الأولى لأي نظام معرفي، هي صيانة معارفه في قوالب مصطلحية (7) فنجد (Pragmaticus) (باليونانية) بمعنى الغرض العملي (8)، والمقامية، الوظيفية، السياقية الذرائعية، النفعية وعلم التخاطب (بالعربية)، مع وجود فروق حيث البراغماتية تعني بخصائص استعمال اللغة عند المتكلمين وشروط صحته، والذرائعية تهتم بالفائدة العملية للفكرة كعميار لصدقها (9) أما النفعية (البراغماتزم)؛ فهي مذهب يتخذ القيمة العلمية التطبيقية قياسا للحقيقة (10)

موضوع اللسانيات التداولية :

يقترح " فندربليش " مجموعة من الأسئلة تمثل الإجابة عنها موضوعات للتداولية ولعل أهمها ما يلي: كيف نربط علاقة مع الأشخاص الآخرين بالقول؟ كيف نسهر على بقاء علاقات موجودة سلفاً؟، كيف يمكننا التأثير على نشاط وآراء الآخرين؟، وما هي الشروط التي تجعل عملاً ما يحفز أو ينجح؟ (11)....

أما عن اهتمامها فينصب أساساً على المتكلم انطلاقاً من سياق المفوضات (12).

وتميز " أورشيوني " (**Orecchioni**) بين ثلاث تداوليات متجاوزة هي: (13)

التداولية التلفظية (Énonciative Pragmatique) : ظهرت مع " شارل موريس " (**Charles Mouris**) والتي تهتم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ وبعض خصائص الجهد التلفظي (مرسل، متلقي، وضعية التلفظ...) التي يندرج ضمنها الملفوظ.

التداولية التخاطبية (Illocutoire Pragmatique): (أو نظرية أفعال الكلام) مع "أوستين" (**Austin**) وسيلر" (**Searle**)، وهي تدرس القيم التخاطبية داخل الملفوظ وتسمح له بالاشتغال كفعل لغوي خاص.

3-التداولية التحوارية (Conversational Pragmatique) : هي حديثة جداً استوردت أفكارها من الأنثولوجيين، وأثنوميتودولوجي(*) (التواصل...)، وتهتم بدراسة الحوارات، وبقية التفاعلات التواصلية الأخرى .

وعن سبب اختيار تداولية الخطاب السياسي يؤكد الموضوع أن الخطاب السياسي الصحفي حقل غني بأساليب الإقناع في العصر الحاضر عصر الصورة وتكثيف اللغة، إذ انطلقت اللغة خارج حدودها المرسومة لتدخل مجالات الحياة كلها، فأصبحت اللغة استثماراً توظف من أجلها الإمكانيات كلها، وتوضع بخدمتها أعظم الخبرات. وأضحى لكل هيئة سياسية مستشارون سيمائيون يساعدون السياسي في صياغة خطابه بانتقاء الكلمة المؤثرة والعبارة المحكمة النافذة ، وتأسيساً على هذه المعطيات سيتم عرض كيف طبقت الآليات الإجرائية للتداولية على خطاب الإعلامي الشهير فيصل القاسم كأهم ما كتب عن الثورات الشعبية الجديدة التي شهدتها الوطن العربي بدءاً من ثورة تونس، هذه الأخيرة التي كتب

عنها مقالا بعنوان: "انتفضوا... تكنولوجيا الاتصالات تحميكم" بتاريخ 2011/01/12، المقال يتحدث عن مدى مساعدة وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة للتونسيين على نشر الثورة لتعم أرجاء تونس.

التحليل التداولي لخطاب فيصل القاسم بعنوان: "انتفضوا...تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!"

لأن المستوى التداولي يجيب عن الأسئلة مثل : من قائل أو كاتب الخطاب؟ لمن كتب أو قيل الخطاب؟ ومتى وأين؟ وكيف قيل أو كتب الخطاب؟ (في علاقته مع الباث والمتلقي)، ولماذا قيل أو كتب الخطاب؟ (الغرض الاتصالي)، فسيحاول الموضوع تحليل الخطاب حسب نظرية الأفعال الكلامية لأوستين وسيول، ثم حسب نظرية التلطف (الملفوظية) وأخيرا كل المبادئ التداولية وآلياتها الإجرائية، مع التركيز على عناصر الخطاب من مرسل ومرسل إليه، وكل ما يجعل من هذا الخطاب الصحفي السياسي خطابا تداوليا.

I. تحليل خطاب فيصل القاسم "انتفضوا...تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!" حسب نظرية الأفعال الكلامية:

● أفعال الكلام في خطاب " فيصل القاسم":

1- الأفعال الإخبارية :

لابد من الإشارة، إلى أن طبيعة الخطاب الإعلامي، تبين أنه في الأصل خطاب إخباري فمصادقية الخبر تكمن في كون ملفوظاته مصوغة بأسلوب تقريري، لذا نلاحظ كثرة الأفعال الإخبارية.

وتقسم عدّة أقسام :

أ - **أفعال الكون** : الماضية في مثل قوله، (ما كانوا يفعلونه)، (كان المستبدون)، (كما لو كانوا مجرد أسراب من الذباب) و(كانت إيران)، وهي كلها أفعال تخبر عن واقع مضى وانقضى.

ب - أفعال الاستطاعة :

في قوله: (يستطيعون أن يبيدوا)، (فمن المستحيل أن يستطيع الوصول)، (أن الشهود

لا يستطيعون الوصول إلى جمهور واسع)، (استطاع بعض الزعماء سفك أطنان من الدماء)...

إضافة إلى أفعال أخرى للوصف، والإنجاز والرؤية مثل (شاهد) وغيرها . وكل هذه الأفعال الإخبارية، تتمثل غرضها الإنجازي في نقل وقائع الثورة من طرف المتكلم ووصفها، وحكاية تفاصيلها، والإخبار عن دور وسائل التكنولوجيا الاتصالية في المساهمة في قيام الثورات الشعبية الجديدة .

2- الأفعال الطلبية :

أول طلب صدر من المتكلم يبدأ من العنوان؛ انتفضوا، فهو أمر ودعوى لقيام الثورات

في مناطق أخرى من الوطن العربي، بعدما قامت أول ثورة في تونس، وقد تحقق هنا بصيغته المعهودة (افعل)، مثله مثل ما اختتم به صاحب الخطاب، في قوله: ثوروا. ولكن يمكن أن يؤدي التركيب الخبري غرضا طلبيا بالنظر إلى سياقه العام، وإلى الأساليب الإنشائية المصاحبة له في الخطاب الذي بين يدينا من مثل: (أيها المنتفضون... إنكم تعيشون في عصر تكنولوجيا الاتصالات)، وكأنه يوجه للشعب العربي أمرا من نوع تفطنوا، انتبهوا إلى التكنولوجيا الحديثة، استعملوا وسائلها..

وبهذا كله يكون التركيب الخبري كاملا، خروجا عن صيغته الإخبارية إلى صيغة أخرى طلبية وهو الفعل الكلامي المنجز بالنظر إلى الوظيفة التداولية للخطاب . أما عن غرض الأفعال الطلبية الإنجازي فهو حمل المخاطبين (وهم الشعوب العربية) والتأثير فيهم ليقوموا هم كذلك بالثورات التحررية من قيود العبودية التي تفرضها السلطات الحاكمة مثلما فعل التونسيون ونجحوا بالفعل في جعل الرئيس السابق يهرب .

3- الأفعال الالتزامية (أفعال التعهد)

لا يوجد في الخطاب - الذي بين أيدينا- أي فعل للوعد أو التعهد بشكل صريح؛ أي لم يستعمل المتكلم أفعالا من مثل: أتعهد، أضمن، أو أقسم....

4- الأفعال التعبيرية :

ويمكن تقسيمها حسب ما خصته من أفعال تضمنها الخطاب، إلى:
أ- أفعال إظهار القوة مثل: (.... الذين تزلزلون الأرض تحت أقدام الطغاة)، وفي هذا إظهار لشدة قوة الشعوب المنتفضة، وهذه القوة جاءت من غضبهم الشديد لما يرونه من ظلم صادر من السلطات، وفيها تعبير أيضا عن مشاعر المتكلم لنفسه، وهو إعجاب بأعمال المنتفضين...

ب- أفعال إظهار الضعف :

في قوله (أن يببدوا الألوف من شعوبهم كما لو كانوا مجرد أسراب من الذباب) فهذا الفعل يعبر عن ضعف الشعوب، هذا قبل عقود من الاضطهاد، قبل عصر السماوات المفتوحة التي وفرتها ثورة الاتصالات المباركة،

ج- أفعال إظهار الفرح :

في قوله (طوبى للثورات الجديدة)، وقوله (يا بخت الانتفاضات الشعبية الجديدة!) ففي هذين التركيبين مضمونات عاطفية يغلب عليها جانب الفرح الذي يهيم على الصحفي، وهي من الناحية التداولية تعرض لنا جانبا من شخصه -بعده متكلم- فهو سعيد بقيام الثورات الشعبية العربية ضد الديكتاتوريات السلطوية الحاكمة، ففي التركيب الأول لم يرد فعل التهئة بالصيغة الصريحة للفعل (أهني) ولكنه ورد في صيغة " طوبى" وهي صيغة تدل على التهئة في شكل مفعول مطلق، ففي ذلك دلالة على تثبيت المعنى ومنحه ديمومة الحصول واستمراره دون أن مجرد من معنى الحصول والحدوث الذي يقتضيه الفعل الكلامي .

د- **فعل التمني** في قوله (ليت العقاب كان فعلا على جرائم ارتكبا بحق الشعب العراقي فالكل يعرف أن الرجل ذهب ضحية مواقفه السياسية من أميركا وإسرائيل).

5- الأفعال الإعلانية (الإيقاعية أو التصريحية) :

تتمثل في التراكم التالية: (انتفضوا... فإن تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!) و(ثوروا... فإن تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!) و(عقبال المشرق العربي!) هي كلها أفعال تصريحية بقيام الثورة ، فمن شأنها تغيير الحالة القائمة إلى حالة مستجدة ، فيمكن أن تكون هذه التراكم هي من ساهمت في اندلاع الثورات الشعبية في كل من مصر(في 25 جانفي)، وليبيا(في

17 فيفري) بالإضافة إلى اليمن وسوريا والبحرين وغيرها .
 II. تحليل خطاب " فيصل القاسم " بعنوان : " انتفضوا... تكنولوجيا الاتصالات تحميكم! "
 حسب الملفوظية(نظرية التلفظ)
 عناصر معنى الملفوظات :
 الترابط النصي :

إن من أشكال الترابط النصي في الخطاب الصحفي -موضوع دراستنا-وما جعله نصا تبليغيا
 ناجحا يحقق التواصل ما يلي: (14)

1- المرجعية : وقد تضمن الخطاب مرجعيات كثيرة هي :

أ- المرجعية الداخلية : كالمرجعية السابقة في قوله (لم يعد بإمكان الطغاة والسفاحين
 العرب أن يفعلوا معكم ما كانوا يفعلونه قبل عقود)، فالضمير (واو الجماعة) ضمير
 متصل يعود على (الطغاة والسفاحين)، وفي قوله (كان المستبدون....يستطيعون أن
 يببدوا الألوفا) وقوله الألوفا من شعوبهم كما لو كانوا مجرد أسراب من الجراد)
 فالأمثلة كثيرة جدا، حيث يكاد النص لا يخلو من هذه المرجعية الداخلية، فإن
 غياب هذه الأخيرة خاصة، يفقد الخطاب خاصيته التبليغية، لأنه دونها سيكون
 مجموعة جمل غير مترابطة ، لا تؤدي أي معنى.

ب - المرجعية الخارجية (المقامية): سأتناولها فيما بعد فيما يعرف بالسياق.

ج- المرجعية الشخصية : وهي ما ذكر في الخطاب من ضائر سواء أكانت هذه الضائر
 وجودية والتي تميز بين أدوار الكلام كضمير المخاطبين (أنتم)

وهي تساعد على ربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه ليظهر متسقا.

وهناك ضائر متصلة هي ضائر الملكية كما جاء في قوله (أجهزتهم، شعوبهم، قواته، جرائمه
 له، إنجازاته، إنجازوه، مواقفه، أقرباؤه، تعاملها، طريقها، أمرهم ، تأثيرها، مكاتبها، مراسليها
 شرورها، ضحيتها) ويصدق عليها ما قيل عن غيرها من الضائر المنفصلة السابقة .

د- المرجعية الإشارية :

وقد جاءت في النص بكثرة ويمكن تقسيمها إلى :

- أسماء إشارة ظرفية زمانية في قوله: (فكل شيء الآن يقع تحت أعين وسائل الاتصال... يحتفظ الآن ببعض صور الرجال.... أن هناك الآن).
- وقد جاءت (الآن) لتقوم بالربط القبلي في المواضع الثلاثة الأولى.
- أسماء إشارة ظرفية مكانية في قوله: (فإن هناك من يستطيع أن ينتفض...) أو هي تربط قبليا هذه الجملة بالجملة التي قبلها (إلى المحاكم والمنظمات)
- أسماء إشارة للاتقاء كما في قوله (لاجتياح هذه المنطقة.... يرتكبها هذا الزعيم)
- أسماء إشارة للبعد (هذه المنطقة أو تلك.... ضد هذا المسؤول أو ذاك الزعيم العربي
- أو ذلك، مع ذلك فقد امتلأت... في هذه العاصمة أو تلك) أو للقرب مثل (أيها المتلملون في هذه الأمة العربية).

ه- المرجعية المقارنة :

- وتضم الإحالة الدالة على الكمية كما جاء في قوله: (كان بعض الطواغيت... الأمن)
- فهي كلها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق كما في الجملة الأولى،
- فهذا الربط الذي تقوم لفظة (بعض) يساعد على تماسك النص.
- والإحالة الدالة على الكيفية كما جاء في قوله (وإذا كانت إيران تعتبر غاية في التسامح والانفتاح مقارنة مع تونس) فهذه الإحالة ربطت ما سبق بالجملة اللاحقة (مع تونس)، فلو غابت (مقارنة مع) لأصبحنا أمام مقطع لا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن نصفه "بالنص" لغياب شرط الربط وقوله (ومما يزيد من فعالية الانترنت أنها أكثر تحمرا من الفضائيات ...) فاسم التفضيل (أكثر) قام بوظيفة اتساقية مفادها تحقيق التبليغ من خلال الربط بين جملتين.

2- الوصل :

- الوصل الإضافي :** منه ما جاء بحرف الواو، وهو كثير جدا سواء أكان ذلك بين كلمتين أو بين جملتين كما جاء في قوله: (أيها المنتفضون و المتظاهرون)، (وكان المستبدون و أجهزتهم الأمنية والقمعية)، (من البر والبحر والجو).
- كما استعمل حرف الربط (أو) في مواضع من مثل قوله: (لمن يحمل كاميرا أو حتى جهاز

التسجيل) وقوله (يرتكبها هذا الزعيم أو ذاك)، (في هذه العاصمة أو تلك) فهو في هذه التراكيب المختلفة يربط بين شيئين نضعهما محل تخيير ب (أو) من أجل أن نربط بين الأحداث وخاصة في الجملة الثانية.

كذلك ما ورد من ربط بجرف الفاء في مثل قوله (فمن المستحيل...) وقوله (فالكل يعرف أن).الوصل العكسي جاء في موضعين اثنين، أولهما لما قال (فقد صمت الشعب التونسي طويلا لكنه هاهو يثور بكل أطيافه) فهو يربط ومن خلال(لكن) بين الأحداث، فقد كان الشعب التونسي في السابق صامتا ولكن على عكس المتوقع أصبح ثائرا في وجه الدكتاتورية الغشمية وثانيتها لما قال(حتى الذباب الأزرق لا يستطيع أن يخترق جدار الحجب الإعلامي في تونس ومع ذلك فقد امتلأت شاشات التلفزيون...) فبالرغم من صعوبة اختراق الإعلام في تونس إلا أنه تم ذلك على غير المتوقع، وهذا ما بينه لنا التركيب(مع ذلك) لما حقق ترابط حدثين ثانيهما لم يكن في الحسبان حدوثه.

الوصل السببي : وهو علاقات منطقية كالنتيجة والسبب والشرط، كما جاء في قوله (لقد شاهد العالم لأول مرة صورة المتظاهرين وبشاعات الأمن مما شكل إحراجا كبيرا للنظام في إيران)، فالجملة الأولى هي سبب في حدوث الجملة الثانية بأداة الوصل (مما) التي أدت هنا دورا في ترابط النص وتماسكه لحصولها، لذا تعتبر عناصر الوصل السببي من محققات الترابط النصي، كما هو مبين في الأمثلة السابقة من خطابنا المدروس.

3- التكرار: هناك نوعان(15) منه في هذا الخطاب:

1- تكرر تام :

الكلمات : منتفضون، المتظاهرون، الانتفاضة، تكنولوجيا الاتصالات، موبايل، المواقع الالكترونية وأجهزة الاتصال الحديثة.

فتعدد كل هذه المراجع في ظل وحدة المعنى الذي تحيل إليه الأنساق المكررة، يتم عن توحد الحدث المشكل لموضوع الخطاب، والذي يؤطره دور تكنولوجيا الاتصالات في انتشار الثورات والانتفاضات الشعبية في الوطن العربي في نهاية عام 2010 وبداية عام 2011.

2- تكرر جزئي : ومن شواهد مايلي:

(الطغاة ، الطواغيت وطاغية) ، (تزلزلون ، زلزال ، مزلزلا)، (المشاهدين ، شاهد) (وحوش ، لوحشيتهم)، (ثورة، ثورات، يثور، ثوروا، الثوري)...
إن التكرار الجزئي، قد استطاع الانتشار في النص محققا بذلك الترابط بين أجزائه الظاهرة من جهة، ومؤكدا ثوابت المفاهيم والأفكار التي تكون عالم النص موضوع الخطاب من جهة أخرى.

3- التماسك المعجمي (التضام):

يمكن تتبع الظاهرة في النص السياسي من خلال اطراد مجموعة من المفردات في شكل ثنائي يشي بالاجتماع والترابط المعنوي كما جاء في: المنتفضون / المتظاهرون، الطغاة/ السفاحين، القمعية/ الوحشية...

كما تقوم المصاحبة المعجمية من خلال علاقات التضاد (التعارض) كما يلي: جنح الظلام/ وضح النهار، من البر والبحر، في الماضي/ الآن...وهو ليس تضادا صريحا وإنما من خلال السياق نجده، وقد أفادت صورة التضاد هذه في إبراز صورتين على طرفي نقيض وهو من شأنه أن يظهر أنساق الخطاب لأنه يبين تمايز الأحداث.

وتقوم المصاحبة المعجمية أيضا من خلال علاقة "عناصر من نفس القسم العام" في قوله كاميرا/ جهاز تسجيل، الكاميرا/ الموبايل، الانترنت/ الفضائيات، فهي كلها عناصر من اسم عام وهو تكنولوجيا الاتصالات، وهذا ما يبين اتساق النص، لأنه لم يخرج عن موضوع الخطاب، وهو تبيان دور وسائل الاتصال في قيام الثورات الشعبية.
وفي قوله: المواقع الالكترونية/ يوتيوب، هنا يبين علاقة من نوع الكل-الجزء إذ لا يشكل اليوتيوب إلا جزءا من مواقع الكترونية شتى.

ب- الانسجام

لقد تحقق الانسجام في هذا الخطاب السياسي، بفضل تداخل مجموعة من العلاقات الدلالية عملت مجتمعة على حبك مضامين الخطاب، وتحقيق التكامل والتناغم بينها وهي:

1- علاقة الإجمال / التفصيل

سأندرج في رصد هذه العلاقة وفق نمو الخطاب، وأول ما يمكن البدء به هو قوله: (يا بخت الانتفاضات الشعبية العربية الجديدة!) فهذه الجملة تكاد تكون لوحدها مركز الثقل معنويًا إذ ما تلاها هو تفصيل لها في قوله: (كم أتم محظوظون أيها المنتفضون) و(وانكم تعيشون في عصر تكنولوجيا الاتصالات الحديثة) ويأتي تفصيلها أيضًا متفرقا في مقاطع الخطاب، وهذا في حد ذاته يبرز العلاقة الوثيقة بين المقاطع التي يتشكل بها الخطاب كله مثل: قوله: (لقد غدت تكنولوجيا الاتصالات سيفًا مسلطًا على الأنظمة)، وفي عبارة أخرى تبين الإجمال قوله (ما أسهل الثورات الشعبية في هذا العصر) وتفصيلها هو فيما ورد بعدها

من عبارات كقوله: (فكل شيء الآن يقع تحت أعين وسائل الاتصال...) وقوله (من الصعب أن يخلو بيت من هاتف جوال (موبايل)).

فالصحفي ينتقل من فكرته العامة وهي سهولة الثورات الشعبية في وقتنا الحالي إلى تفصيل هذه السهولة التي تكمن في توفر وسائل الاتصال الحديثة من كاميرات وجوال التي تلعب دور وسائل فاضحة لجرائم السلطات البشعة. في قوله: (وقد شاهدنا كيف قامت الكاميرات بفضح همجية قوات الأمن الكويتية والأردنية...).

2- علاقة العموم / الخصوص:

مبدئيًا يمكن أن نعتبر عنوان المقال ورد بصيغة العموم، وبقيّة النص تخصيص له فالعنوان جاء كالتالي: (انتفضوا ... تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!) ويمكن أن نقسمه قسمين مركزيين: (انتفضوا) و (تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!) وبالتالي، فالخطاب سيكون موزعًا بين هذين المركزين اللذين يلتقيان في نهاية الأمر ليشكلا صورة كلية، لأن العنوان وسيلة تعبيرية باختصار كبير عن الموضوع، إذن فالعنوان عموم وتخصيصه هو:

- إنكم تعيشون في عصر تكنولوجيا الاتصالات.

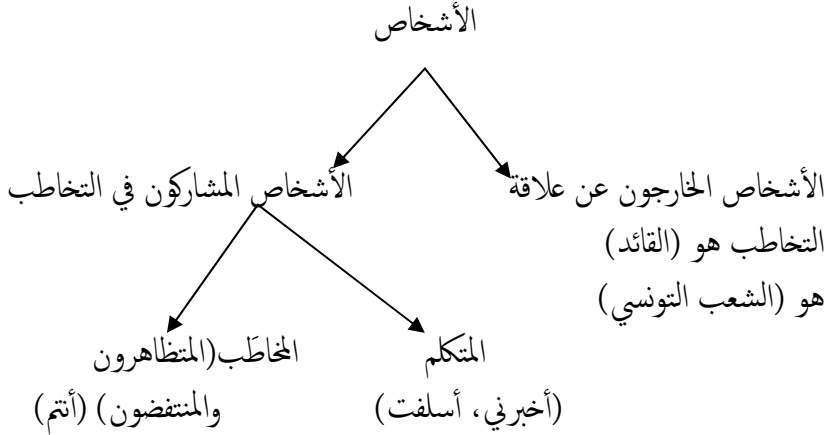
- إن الزمن الأول قد تحول

- لقد غدت تكنولوجيا الاتصالات سيفًا مسلطًا على الأنظمة الدموية

- وعونا عظيمًا للشعوب التواقفة إلى التحرر والانتفاض
إذن هذه العلاقات (إجمال / تفصيل وعموم / خصوص) المنتشرة في النص استطاعت
أن تمارس وظيفة التماسك الدلالي بنجاح، ودون ظهور وسائل شكلية تعتمد عليها
في ذلك، فهي تستهدف تحقيق درجة من التواصل، خصوصاً وأن النص -الذي بين
أيدينا- تبليغي بالدرجة الأولى.

2 - ضوائر الشخص:

يمكن أن نكتشف من خلال هذا الخطاب السياسي طريقتين من طرق التلفظ
لتعيين الأشخاص جعلتنا نخدمهم عن طريق الخطاطة التالية :



إذن يتضح من تداخل مختلف علامات الشخص في هذا الخطاب، تشكل نقطة القوة
التخاطبية كما يسميها " مانغونو " (16)، إذ توضع الكلمة كعنصر مشترك بحيث تمتلك قوة
أدائية فيما تؤدبه، وما يعبر عنه الكلام وبذلك تأكيد كلام مشترك، كلام حول الانتفاضات
الشعبية العربية الجديدة التي قامت بتكاتف الأيدي وصبر الجميع ، لتحقيق النصر.

3- الأحكام:

لقد تعددت الأحكام في الخطاب بين إثباتية وتقديرية، فهي كلها أحكام تبين رأيه إزاء
موضوع خطابه (الثورات الشعبية العربية)، وهو يؤيد موقفه من الثورات بتمنيها لاندلاعها
حتى في المشرق حينما قال: (وعقبال المشرق العربي!).

استعمل تراكيب توضح رأيه بصراحة كبيرة فهذه الأحكام تبين ذاتية المخاطب وإيديولوجيته السياسية، فكلماته تعتبر صدى لكل مواطن عربي منزوع اللسان .

4-الزمان :

يكتسب زمن الحاضر أهمية عظمى لأنه يجعل الخطاب أكثر شرعية، فالخطاب السياسي يواكب أحداث الانتفاضات الشعبية العربية الجديدة، كحدث سياسي جديد ويقصد الصحفي هنا ثورة تونس، وثورة الجزائر، لا غير، لأن المقال كتب في يوم 2011/01/12 ، وهو تاريخ لم تندلع فيه بعد الثورات في البلدان العربية الأخرى.

أما المظاهر الأخرى فتجسدت في الرجوع إلى التاريخ، أي قبل ظهور الثورات أين كان الطغاة العرب يبيدون الألوف من شعوبهم، أو ما يعرف بعهد المجازر الجماعية، ثم الرؤية المستقبلية المتمثلة في انتظار قيام الثورات حتى في المشرق العربي.

والحدث الذي يتحدث عنه صاحب المقال لا يحدد ضمن الزمن التاريخي، ولكن ضمن زمن الحديث انطلاقا من خطاب " فيصل القاسم"، وهو زمن الحاضر، أما الزمان الماضي والمستقبل فمتعلقان به، فكلمة استعمل الصحفي الصيغة النحوية الدالة على الحاضر(وما أكثرها مقارنة بالماضي والمستقبل) كان هدفه جعل الحدث متزامنا لحال الخطاب، مثل قوله: (الذين تزلزلون الأرض تحت أقدام الطغاة) مما شكل إحراجا كبيرا(إلا أن الشباب التونسي اخترق نظام الحجب والقمع)، (وأظهر للبشرية....)

5- مكان الخطاب :

مادام شكل الخطاب جاء في مقال صحفي مكتوب، ومنشور على إحدى صفحات جريدة الشروق اليومية الجزائرية، فيمكن تحديد مكان الخطاب على أنه للموقع الإلكتروني لجريدة الشروق(Echourouk-online.com) ، الصفحة الرئيسية، أقلام الشروق، قسم أقلام الخميس القسم الخاص بالدكتور " فيصل القاسم".

أما من منظور علم التراكيب، فتنوع المبهات المكانية الواردة في الخطاب إلى قسمين :
أسماء الإشارة(17) : وهي مصاحبة لإشارات المتحدث وهي غير حقيقية لأنه خطاب مكتوب فلا يمكننا تحديد وضعية الأشياء، فالحديث يدور حول أشياء مجردة، لا يمكن

تحديد وضعيتها وهي مجسدة في الواقع ولا وجود للشخصيات الخطابية حتى نوقعها في وضعية تتضح المبهات الإشارية والظرفية .

iii- تحليل خطاب فيصل القاسم بعنوان " انتفضوا ... تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!" حسب التداولية التحاورية :

المرسل :

كاتب هذا الخطاب هو الدكتور "فيصل القاسم"، إعلامي سوري عالمي شهير يحمل شهادة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي، وينشط في إجراءات الحوارات السياسية.

يبدو " فيصل القاسم" بالرغم من محاولته الدائمة للظهور بمظهر الحيادي، متحيزا في كثير من الأحيان بقصد وبغير قصد، وهو يتمتع بهامش حرية كبير من خلال عمله في قناة الجزيرة القطرية، ولا يخفي ميوله القومية والعروبية وتحيزه الواضح ضد أصدقاء إسرائيل وضد فساد الأنظمة العربية وقمعها ضد شعوبها (وهذا ما يظهر في الخطاب المختار).

ومن خلال سرد سيرته الذاتية، نجد أن الخطيب يتوفر على الضرورات الأربعة للحديث وهي المعرفة بالموضوع (كيف لا وهو صحفي سياسي شهير)، الإخلاص (يبدو في كتابته وخاصة وأنه عربي غيور على وطنه)، الحماس (يبدو في أسلوبه السياسي)، الممارسة (مشواره العملي يشهد على ذلك) .

ولقد توفرت لدى "فيصل القاسم" قدرة تواصلية (لغوية وتداولية)؛ لغوية تمثلت في قدرته على تكوين جمل صحيحة لغويا (صوتيا، صرفيا، تركيبيا، دلاليا)، وتواصلية تمثلت في قدرته المنطقية كقدرته على المقارنة، والاستنتاج، وقدرته المعرفية: وتمثل في إحاطته بالحدث السياسي بكل جوانبه، ومعرفة كل صغيرة وكبيرة فيه. أما القدرة الاجتماعية فتمثلت في قدرته على الخوض في أدوار اجتماعية تجاه الآخرين، إذ تمثل كلماته صدى لكل عربي منزوع اللسان.

أما عن الوسائل اللغوية التي استعملها المتكلم لتقوية قوة المنطوق الإنجازية فتتنوع بين صوتية (من حيث هي محددات صوتية سياقية مهمة لأنها تفسر المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله للمخاطبين) .

2- المرسل إليه :

يتضح من تنبيهات النداء التي استهل بها المخاطب خطابه المكتوب، أن المتلقين هم المنتفضون والمتظاهرون العرب، ويقصد بهم الشعب الإيراني الذي استطاع الوقوف في وجه حكم بلاده المتشدد، والشعب التونسي الذي خرق نظام الحجب والقمع الإعلامي بأحداث انتفاضة سيدي بوزيد وبقية الولايات التونسية (ابتداء من تاريخ 18 ديسمبر 2010م).

ويتسع المتلقي المتصور إضافة إلى الحقيقي الذي ذكر قبل حين، ليشمل الشعوب العربية في بلدان المشرق العربي.

ولأن المتلقين ليسوا كلهم على درجة واحدة من الاقتناع، فيمكن اعتبار أن المتلقين ليسوا متجانسين؛ فمنهم من يسهل إقناعه، ومنهم من لا يعير اهتماما لما في الرسالة (مجرد قارئ متصفح للجريدة)، ومنهم من يرفض كل سلوكات الباث اللغوية. على أن أكثرهم كان من النوع الأول؛ وما يفسر ذلك هو ما توالى من ثورات أخرى في بقية أنحاء الوطن العربي (مصر ليبيا،...) فمنهم من اتهم "فيصل القاسم" على أنه مفجر الثورات، وأخص بالذكر الكاتب السوري "فضال نعيسة" في مقال سياسي له بعنوان: "اقبضوا فوراً على فيصل القاسم مفجر الثورات والشوارع" نشره على موقع (Arabtime .com).

3-السياق : وقد ميزت في الخطاب ثلاثة أنواع من السياق هي كآآآ:

أ - السياقين الاجتماعي والتاريخي :

يفيد السياق الاجتماعي التعرف على راهنية العصر الذي يعيشه الشعب العربي في مختلف بلدانه العربية، كما كان احتجاج المتظاهرين على انتشار البطالة، وارتفاع أسعار السلع الغذائية الفساد وسوء الظروف المعيشية، حيث بدأت في تونس بالضبط في "ولاية سيدي بوزيد" بعدما أقدم "محمد البوعزيزي" شاب جامعي يعمل بائعاً متجولاً، على الانتحار احتجاجاً على مصادرة عربته التي يستخدمها لبيع الخضر والفواكه. فامتدت احتجاجات الشعب التونسي إلى مدن أخرى من تونس وتحولت المظاهرات التي بدأت في

18 ديسمبر 2010 إلى سلسلة من أعمال العنف والاعتقالات من جانب الشرطة والجيش التونسي تجاه المتظاهرين، وفي الأخير أجبر الرئيس زين العابدين بن علي على الهروب. ويحاول النص الخطابي وصف مظاهر الاضطهاد والابادة الجماعية قبل عصر الثورات الجديدة، ويحاول الصحفي من خلال خطابه الدعوة إلى المزيد من الانتفاضات الشعبية لتحرر من السيطرة السلطوية الغشمية، كما يبين دور وسائل الاتصالات الحديثة في مساعدة انتشار الثورات عبر الولايات والمدن ويشجع عليها وهذه أهم قيمة اجتماعية تبرز في النص.

ب- السياق النفسي :

تقوم مؤشرات مقالية عدة في هذا الخطاب بوظيفة وصف نفسية الصحفي المتأثرة بأحداث الثورات، من خلال تأشيرته بملفوظات معينة على إظهار الفرح (طوبى، يا بخت) فهو سعيد بقيام الثورات الشعبية، وأخرى لإظهار القوة في قوله (تزلزلون) لقد جاء خطاب "فيصل القاسم" مدعوما بالحجة و الدليل على ما قاله، ومن ذلك قوله (كم أتم محظوظون أيها المنتفضون... إنكم تعيشون في عصر تكنولوجيا الاتصالات) وبالفعل هذا هو الواقع المعاش الآن؛ والذي استعمله كدليل ليقنع المتلقي بصحة كلامه، وكذلك ما سردته من حقائق سياسية عن الرئيس العراقي الراحل صدام حسين حيث سرد الحقيقة بأمانة ودون مغالطة (التي اعترف بها حتى أقرباؤه كطوبان التكريتي واعتدرونها في المحكمة للشعب العراقي). الصحفي أعطى معلومات شاملة وعامة، فلم يعتمد على تزويد المتلقي بمعارف لم يسبق له معرفتها من قبل، فكل جار في الواقع .
وفي خاتمة هذا المقال يمكن أن تسجل النتائج التالية :

لقد أظهرت الدراسات التطبيقية لخطاب "فيصل القاسم" بعنوان "انتفضوا... تكنولوجيا الاتصالات تحميكم!" أن هذا النوع من الخطابات الصحفية السياسية هو الأكثر تماشياً مع طبيعة المنهج التداولي، وهذا ما تظهره النتائج التالية :

- لقد توخى النص الذي بين أيدينا أكثر الأساليب فعالية من أجل ضبط بؤرة الانتباه والإبقاء على الاهتمام والتأثير، ويظهر من خلال :

● استغلال مختلف التقنيات التي انبثقت من وسائل التشكيل الصوتي والمعجمي والخطابي كاستراتيجيات فعالة لأجل تقوية قوة المنطوق الإنجازية .

● لقد كانت الاستعانة بالأساليب البلاغية والبيانية كالتشبيه والاستعارة والكنائية وذلك لوقعها الفعال في العقل والقلب لما تحمله من معاني ضمنية وتشير إلى معان نفسية لدى المتكلم تظهر مدى اهتمامه بقضايا الوطن العربي، وفي هذا استدراج للسامعين بالنظر إلى الدلالة.

- اعتمد الصحفي وجوها حجاجية عدة في مقالة، ولعل أكثر ما أثار الانتباه هو الأساليب المختلفة في توظيفه الألفاظ، وبما يضيف عليها من الدلالات، قد تم توظيفها من أجل تدعيم البعد الحجاجي لمقاله، كال تكرار واستعمال أدوات الربط، وتوظيف بعض الصور البيانية وهذا ما يجعل التفاعل مستمرا بين طرفي الخطاب، مع كل الحجج التي يقدمها الصحفي سواء أكانت عقلية أم عاطفية.

- إن ما تضمنه التلفظ من آليات (ضائر، زمان، مكان وأحكام)، سمح للصحفي من تحقيق ملفوظية ناجحة ولاسيما ما تعلق بالاستراتيجيات التخاطبية للصحفي بتوظيفه الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة.

- لقد جاءت أفعال الكلام في خطاب الصحفي " فيصل القاسم " متنوعة في استخداماته للأفعال الكلامية بين إيقاعية وطلبية وإخبارية والتزامية وتعبيرية وهذا ما جعلها تنشئ أفعالا تأثيرية، وما تتالي قيام الثورات،

- تُعد ثورة تونس الجديدة- في مختلف أنحاء الوطن العربي إلهاماً لدليل واقعي ملموس على ذلك .

وفي الأخير ينبغي القول إن مثل هذه الخطابات تحمل مواقف وتعديل سلوكيات وتدعو إلى أوامر وتنهى عن أخرى، لذا ينبغي أن يكون لها تأثير على المتلقين .

الهوامش :

- (1) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، الجزائر، 2006، ط2، ص157.
- (2) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، 2004، ط2، ص21.
- (3) ينظر، المرجع نفسه، ص21.
- (4) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، ت، عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ط2، ج1 مادة "دول"، ص252، 253.
- (5) ينظر، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، ط1، بيروت، 2003، ص1، ص900. وينظر، معجم اللغة العربية (المعجم الوسيط)، دار الدعوة، ط2، اسطنبول، 1989، ط2، ج1، ص304.
- (6) Charaudeau (Patrick) / Maniguenau (Dominique), Dictionnaire d'analyse du discours, Paris, Edition de Seuil, 2002, p 454.
- (7) ينظر، عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، دار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ص196.
- (8) ينظر، حامد خليل، المنطق البراغماتي عند بيرس مؤسس الحركة البراغماتية، دار الينابيع، مصر، 1996 ص 196.
- (9) ينظر، محمد محمد يونس علي، التداولية بين النشأة والتطور، منتديات تخاطب Takatob.com، 14 أوت 2010، الساعة 14:00.
- (10) ينظر، آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ت سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة بيروت، 1998، ص29، 28.
- (11) ينظر، الحيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ت، محمد يحياتن، ديوان

- المطبوعات الجامعية، الجزائر ص 43.
- (12) ينظر، فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات ،ت، سعيد حسن بحيري، ط1، القاهرة 2001، ص144.
- (13) ينظر، إدريس مقبول، الأسس الايستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيويوه، عالم الكتب الحديث عمان، 2006، ط1، ص263.
- (*) الأثنولوجيا: علم السلالات البشرية، ينظر، موسوعة (Wikipedia.com) ، الأثنوميتودولوجيا: دراسة مناهج الناس و الطرق التي يفهمون بها عالمهم.
- (14) ينظر، محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، 2006، ط2 ص 16-25.
- (15) ينظر، مصطفى السعدي، البنات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأ المعارف الاسكندرية ص 173 وينظر، جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 96 .
- (16) ينظر، ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، الجزائر ص 160 .
- (17) ينظر، المرجع نفسه، ص 155، 156 .